معنى التسليم لله وأهميته وأمثلة منه وكيف نحققه

كتبه وحدثه غريب الديار بتاريخ السبت ١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٢

التسليم لله رب العالمين والإنقياد له, شرط من شروط الإسلام التي لا يصح إلا بها كما سوف نعرف في هذه السطور إن شاء الله.

في هذا المقال سوف نتحدث عن:

- آيات التسليم لله في القرآن
  - الآية الأولى: آية التسليم
    - التحاكم إلى الله ورسوله
    - التسليم التام لله عز وجل
  - الآية الثانية: آية حب الله ورسوله والجهاد في سبيله
  - الآية الثالثة: آية البيعة
- نماذج التسليم لأمر الله في السنة النبوية
  - نماذج من التسليم لأمر الله بالإنفاق
    - النموذج الأول: تسليم الصحابة لأمر رسول الله في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
    - النموذج الثاني: التسليم لحكم الله في الإنفاق مما نحب
  - نماذج التسليم لله في الكف عن المحرمات
    - التسليم لله في تحريم الخمر
- هل نحقق التسليم لله في زماننا
- كيف نحقق التسليم التام لله عز وجل

آيات التسليم لله في القرآن

إن التسليم لله عز وجل يعني أن لا يكون في القلب أي حرج من حكم الله عز وجل أيا كان ذلك الحكم, بمعنى أن المرء إذا سمع حكم الله يقبله بجوارحه وقلبه, فلا يجد في نفسه حرجا منه, مهما كان حكم الله مخالفا لعاداته وتقاليده وهواه, وقد بين الله ذلك في عدة آيات من القرآن نذكر منها

الآية الأولى: آية التسليم

‹فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ وَيُسَلِّموا تَسليمًا› [النساء: ٦٥]

إذا نظرت إلى هذه الآية، تجد أن الله عز وجل أقسم بنفسه، وهذا نادر جدا في القرآن، فالغالب أن الله يقسم بمخلوقاته، مثل الشمس والقمر والليل وغيرها من مخلوقاته، وهنا نجد أن الله أقسم بنفسه، وهذا يعني أن الأمر مهم جدا ومؤكد أشد توكيد، فالله عز وجل يكفي أن يذكر الأمر في القرآن ليعلم أنه حق لا جدال فيه، ومع ذلك فالله لم يكتف بذكر شرط التسليم لله عز وجل، وإنما أقسم على ذلك، وأقسم بنفسه سبحانه وتعالى فانتبه أيها القارئ، فالأمر جلل.

على ماذا أقسم الله في هذه الآية؟

أقسم أن المرء لا يكون مؤمنا حتى يحقق شرطين وهما:

التحاكم إلى الله ورسوله

نعم لا يكون المرء مسلما حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، أو يتحاكم إلى القرآن والسنة بعد موته صلى الله عليه وسلم، فالمسلم الذي أسلم نفسه لله لا يقبل غير حكم الله عز وجل، فهو أصلا لا يعترف بسلطة غير سلطة رب العالمين، وإذا تحاكم إلى غير القرآن والسنة، كان مشركا حيث جعل لغير الله الحكم، وقد نص الله على هذا في قوله:

‹أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزعُمونَ أَنَّهُم آمَنوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُريدونَ أَن يَتَحاكَموا إِلَى الطّاغوتِ وَقَد أُمِروا أَن يَكفُروا بِهِ وَيُريدُ الشَّيطانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالًا بَعيدًا› [النساء: ٦٠]

فالكفر بالطاغوت يتناقض مع إرادة التحاكم إليه، وهذا الناقض من نواقض الإسلام منتشر في بلداننا التي تنتمي للإسلام، فأغلب الناس يتحاكمون إلى المحاكم الوضعية التي لا تحكم بالقرآن والسنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التسليم التام لله عز وجل

لا يكفي أن يتحاكم المرء للقرآن والسنة حصرا، وإنما يجب عليه أن يسلم تسليما تاما لحكم الله، بحيث لا يجد أي حرج في صدره من حكم الله.

هذين الشرطين اللذين ذكرت الآية, أي التحاكم لله ورسوله والتسليم لله, إذا لم يتحققا فالله أقسم بنفسه أن المرء ليس بمؤمن, ومن قال الله أنه ليس بمؤمن فلا أحد يستطيع أن يجعله مؤمنا.

الآية الثانية: آية حب الله ورسوله والجهاد في سبيله

يقول الله عز وجل:

<قُل إِن كانَ آباؤُكُم وَأَبناؤُكُم وَإِخوانُكُم وَأَزواجُكُم وَعَشيرَتُكُم وَأَموالٌ اقتَرَفتُموها وَتِجارَةٌ تَخشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرضَونَها أَحَبَّ إِلَيكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصوا حَتّى يَأتِيَ اللَّهُ بِأَمرِهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقينَ> [التوبة: ٢٤]

إن الله عز وجل في هذه الآية جمع كل ما تتعلق به النفس البشرية, ثم فاضل بينه وبين الله ورسوله وجهاد في سبيله في الحب, فمن أحب هذه الأصناف المذكورة في الآية مجتمعة أو بعضها أكثر من الله ورسوله والجهاد في سبيله ناله وعيد الله عز وجل الذي ختمت به الآية:

<قُل إِن كانَ آباؤُكُم وَأَبناؤُكُم وَإِخوانُكُم وَأَزواجُكُم وَعَشيرَتُكُم وَأَموالٌ اقتَرَفتُموها وَتِجارَةٌ تَخشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرضَونَها أَحَبَّ إِلَيكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصوا حَتّى يَأتِيَ اللَّهُ بِأَمرِهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقينَ> [التوبة: ٢٤]

لاحظ كيف قرن الله الجهاد في سبيله مع الله ورسوله في الحب, ولم يقرن عبادة أخرى كالصلاة مثلا أو الإنفاق, رغم كون الجهاد تكرهه النفس البشرية لما فيه من مشقة, ومخالفة للهوى.

إن الله عز وجل قرن الجهاد في سبيله معه ومع رسوله في الحب, حتى نعلم أن الإيمان الحقيقي لا يكون إلا بالتسليم لأوامر الله التي شرع وحبها, مهما بدت شاقة وصعبة, كالجهاد في سبيل الله, وما يقتضيه من بذل للنفس والمال والأهل.

يظهر هذا المعنى جليا في الآية التالية.

الآية الثالثة: آية البيعة

<إِنَّ اللَّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقتُلونَ وَيُقتَلونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ وَالقُرآنِ وَمَن أَوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبشِروا بِبَيعِكُمُ الَّذي بايَعتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ>[التوبة: ١١١]

إنها بيعة على أن يقتل المؤمن في سبيل الله عز وجل, وهي بشارة عظيمة على المؤمن أن يستبشر بها, لأنه هو وحده من سلم نفسه لله, ويفرح بالقتل في سبيل الله عز وجل رغم مخالفة ذلك لهوى النفس, وهذا هو التسليم لله تعالى, حيث أن المرء يكون أسمى أمانيه أن يهراق دمه في سبيل الله.

نماذج التسليم لأمر الله في السنة النبوية

تزخر السنة النبوية بعدد لا حصر له من نماذج التسليم التام لأوامر الله عز وجل, فعند كل أمر من أوامر الله تجد الصحابة رضوان الله عليهم يضربون أروع الأمثلة في التسليم لأمر الله حيث يتسابقون إلى تنفيذه, راضية أنفسهم مهما كان شاقا, كما سنرى في النماذج التالية

نماذج من التسليم لأمر الله بالإنفاق

المال شقيق النفس, ولإنسان مفطور على حب الخير, وطماع بطبعه, فإذا قيل له أنفق مالك دون مقابل مادي أو معنوي في الدنيا, وإنما ثوابك في الآخرة, غير المؤمن يشق عليه ذلك ويمتنع عن إنفاق ماله, أما المؤمن المسلم لأمر الله تسليما تاما, فإنه يسارع إلى الانفاق فهو يريد أن يقرض الله قرضا حسنا, وهذا ما فعله الصحابة بالفعل وإليك نموذجين من ذلك:

النموذج الأول: تسليم الصحابة لأمر رسول الله في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من المعلوم لدى كل من قرأ سيرة رسول الله صلى عليه وسلم, أن أول شيء فعله رسول الله صلى عليه سلم بعد الهجرة هو المؤاخاة بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم, وبين الأنصار الذين استقبلوهم وآووهم.

لقد سلم الأنصار لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة, فلم يجدوا في أنفسهم حرجا من مشاطرة أموالهم إخوانهم المهاجرين الذين يحبونهم كما أخبر الله عنهم في قوله:

﴿وَالَّذينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ وَالإيمانَ مِن قَبلِهِم يُحِبّونَ مَن هاجَرَ إِلَيهِم وَلا يَجِدونَ في صُدورِهِم حاجَةً مِمّا أوتوا وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ وَمَن يوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ﴾ [الحشر: ٩]

النموذج الثاني: التسليم لحكم الله في الإنفاق مما نحب

قال ربنا عز وجل:

‹لَن تَنالُوا البِرَّ حَتّى تُنفِقوا مِمّا تُحِبّونَ وَما تُنفِقوا مِن شَيءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَليمٌ› [آل عمران: ٩٢]

حكم الله عز وجل أننا لن نال البر حتى ننفق مما نحب, وقد سلم الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الحكم فتسابقوا إلى نيل البر تسليما لأمر الله وإيمانا به, فهذا طلحة رضي الله عنه, بمجرد أن نزلت الآية سارع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كما جاء في الحديث الصحيح:

إن حديقتي بيرحاء هي أحب مالي إلي وإني أجعلها صدقة في سبيل الله.

ضاربا بذلك نموذجا فريدا في التاريخ في المسارعة إلى التسليم لأمر وتنفيذه رجاء رضوان الله, رضي الله عنه وأرضاه.

نماذج التسليم لله في الكف عن المحرمات

كان شعار الصحابة رضوان الله عليهم دوما سمعنا وأطعنا, سواء تعلق الأمر بالتكاليف مثل الجهاد والصلاة والزكاة والصيام وغيرها, أو تعلق الأمر بالنواهي كالنهي عن الربا وسائر المحرمات, كان الصحابة رضوان الله عليهم في كل ذلك شعارهم الذي لا يتغير سمعنا وأطعنا, وحتى لا نطيل نأخذ النموذج التالي

التسليم لله في تحريم الخمر

شرب الخمر من عادت الجاهلية التي كانوا يتفاخرون بها كما جاء في أشعارهم, ولقد كان بعض الصحابة يشربها قبل الإسلام وبعده فهي لم تحرم إلا في العهد المدني, فلما نزل قول الله عز وجل:

‹يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجتَنِبوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ› [المائدة: ٩٠]

سارع الصحابة رضوان الله عليهم إلى التسليم فورا لأمر الله, ولم يعترض منهم أحد برغم كونهم كانوا يشربونها منذ الجاهلية, بمجرد نزول الأمر, لم يناقش أحد أو يعترض, سلم الجميع لأمر الله وأقلعوا فورا عن شربها, كما أخبرنا أنس رضي الله عنه في قوله كما جاء في الحديث الصحيح:

كنت ساقي القوم, في منزل أبي طلحة, وكان خمرهم يومئذ الفضيخ, فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت, قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها,

فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم. فأنزل الله: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}

هل نحقق التسليم لله في زماننا

على عكس الصحابة رضوان الله عليهم، يشيع في زماننا الكفر البواح، وذلك بالاعتراض على أحكام الله عز وجل، فكثير من الناس يرى أن بعض أحكام الله غير صالحة للعصر، أو متخلفة ورجعية، والبعض يراها ظالمة وجائرة والعياذ بالله من الكفر والضلال.

هذا الأمر – أي عدم التسليم لله – بدأ بالاعتراض على أمر الله في قوله:

‹اتَّبِعوا ما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلا تَتَّبِعوا مِن دونِهِ أَولِياءَ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ› [الأعراف: ٣]

فالوحي بحسب جمهور العلماء قديما وحديثا لا يكفي عشر معشار الشريعة كما صرح بذلك الجويني، ولذلك اختلقنا مصادر للتشريع لتكملة هذا النقص المزعوم.

المعصية شؤم ووبال ولا تزيد صاحبها إلا بعدا عن الله وخسرنا، وهذا ما حدث بالفعل لهذه الأمة يوم امتنع علماؤها عن الاكتفاء بالوحي، حيث ضرب الله على الذلة والمسكنة إلى يومنا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف نحقق التسليم لله

لعلك أيها القارئ تريد أن تعرف كيف نحقق التسليم لله فتصحح إيمانك بذلك، إذا كنت كذلك فأبشر فربنا عز وجل قد أخبر عن الكيفية في قوله:

‹وَلَو أَنّا كَتَبنا عَلَيهِم أَنِ اقتُلوا أَنفُسَكُم أَوِ اخرُجوا مِن دِيارِكُم ما فَعَلوهُ إِلّا قَليلٌ مِنهُم وَلَو أَنَّهُم فَعَلوا ما يوعَظونَ بِهِ لَكانَ خَيرًا لَهُم وَأَشَدَّ تَثبيتًا وَإِذًا لَآتَيناهُم مِن لَدُنّا أَجرًا عَظيمًا وَلَهَدَيناهُم صِراطًا مُستَقيمًا وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقًا› [النساء: ٦٦-٦٩]

إذا أردت الهداية فاحمل نفسك على طاعة الله ورسوله مهما خالف الأمر هواك، وساعتها سيثبتك الله ويهديك وتحقق التسليم لله، حيث أن حلاوة الطاعة والهداية، ستذهب ما في نفسك من حرج، وأي حرج سيبقى وأنت تسير في طريق لو مت عليها جعلك الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.